الأثر الثقافي للحجاج الأفارقة فى جنوب شرق آسيا

The cultural impact of African pilgrims in Southeast Asia

د. خالد مكرم فوزى عبد النبى
khaledfawezy77@gmail.com
أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب – جامعة بنى سويف- مصر

تاريخ الاستلام: 16 /2021/4 م تاريخ النشر : 25 /2021/5

ملخص:

انتقل بعض الأفارقة الذين كانوا قد استقروا فى السابق كما ذكرنا بمكة إلى بعض دول جنوب شرق آسيا، وذلك عن طريق ملوك وسلاطين بعض دول جنوب شرق آسيا العائدين من رحلات حجهم حيث كانوا يقومون بإغراء الكثير من الإفريقيين للسفر معهم والعمل فى بلاطهم، أو كان يتم شراء البعض منهم

كما انتقل البعض الآخر بعد أن فرغوا من أداء منسك الحج، ولم يجدوا فرصة للعمل والرزق فى الأراضي المقدسة فانتقلوا إلى بعض دول جنوب شرق آسيا كالهند وباكستان وجزر المالديف وسريلانكا، وذلك للعمل كبحارين أو جنود أو مترجمين أو غواصين أو كعمال فى أرصفة الموانئ أو للعمل فى مجال الزراعة أو استخراج الملح والفحم

على الجانب الآخر انتقل بعض الأفارقة المتواجدون على طول الطرق الأفريقية الساحلية الرئيسية المطلة على المحيطات كالمحيط الهندى، والهادي، والأطلنطي إلى دول جنوب شرق آسيا عن طريق الهولنديين والبرتغاليين فى القرن السادس عشر

جدير بالذكر أن الأفارقة قد اندمجوا فى المجتمعات الإسلامية فى دول جنوب شرق آسيا من خلال المصاهرة والزواج والعمل، وتحولت النظرة إليهم من دخلاء إلى نظراء وأصبحوا قادرين على تكوين شبكة من العلاقات. كما كانت من أهم سماتهم هو المحافظة على المورث الثقافي الأفريقى لديهم والتمسك به، لذا يعد الحج ملتقى للتبادل الثقافى على مستوى الدول الإسلامية خاصة ودول العالم عامة.

كلمات مفتاحية: الحجيج الافارقة، جنوب أسيا، التدفق الثقافي، افريقيا.

Abstract:

Some Africans who had settled in the past, as we mentioned in Mecca, moved to some Southeast Asian countries, through the kings and sultans of some Southeast Asian countries returning from their pilgrimage trips, as they were tempting many Africans to travel with them and work in their court, or they were bought some of them

Others moved after they had finished performing the Hajj ritual, and did not find an opportunity to work and livelihood in the Holy Land, so they moved to some Southeast Asian countries, such as India, Pakistan, the Maldives and Sri Lanka, to

work as sailors, soldiers, translators, divers, or as workers in the docks or to work in The field of agriculture or extraction of salt and charcoal.
On the other hand, some Africans who were along the main coastal African roads overlooking the oceans, such as the Indian, Pacific and Atlantic oceans, moved to Southeast Asia via the Dutch and Portuguese in the sixteenth century.
It is worth noting that Africans have integrated into Islamic societies in Southeast Asian countries through intermarriage, marriage and work, and the perception of them has shifted from intruders to peers and they have become able to form a network of relationships. One of their most important features was preserving their African cultural heritage and adhering to it. Therefore, Hajj is a forum for cultural exchange at the level of Islamic countries in particular and the world in general.Therefore, this paper is an attempt to clarify the role that Algerian Revolution has played in hassling and undermining the French policies in the African colonies.
Keywords: Africa, pèlerins africains ; Asie du sud.

مقدمة:

الحج هو الركن الخامس من أركان الدين الإسلامي الحنيف، والمسلم مأمور بأداء فريضة الحج إذا توفرت له الاستطاعة المادية والبدنية. كما يشكل الحج عنصراً مهماً من عناصر حركة الشعوب الإسلامية من مشرقها إلى مغربها. فالجميع مقصدهم واحد هو بيت الله الحرام.

كان من الطبيعى بعد أن انتشر الإسلام فى كثير من أقطار لقارة الإفريقية، أن يسعى مسلمو هذه الأقطار لأداء شعيرة الحج، وكان حجاج القارة الإفريقية يسلكون فى طريق وصولهم إلى الديار المقدسة طريقين رئيسيين وهما:

الأول: الطريق الشمالى عبر الصحراء الكبرى ويضم حجاج شمال القارة الأفريقية.

الثانى: طريق وسط القارة ويضم حجاج غرب ووسط القارة الإفريقية.

وكان الحجاج الأفارقة بعد أن يصلوا إلى مكة المكرمة ويفرغوا من أداء فريضة الحج كان الكثير منهم **يستقر فى مكة**، ومن جملة هؤلاء أعداد لا بأس بها قدمت من المناطق المدارية ومن أهمهم التكارنة الذين استوطنوا مكة ولعل ذلك يرجع إلى الآتى:

- الظروف التى لابست تجارة الرقيق قديماً، فقد كان فى مكة سوق للرقيق يفد إليه، ويباع فيه الرقيق من مختلف الجنسيات.
- الحروب التى وقعت بين سكان هذه المناطق والمستعمرين الإنجليز والفرنسيين، الأمر الذى نجم عنه هجرة العديد من هؤلاء إلى مكة المكرمة.

- رحلات الحج إلى الديار المقدسة التى أسهمت بالقسم الأكبر من هؤلاء الوافدين، فرحلات الحج كانت ابعد أثراً فى استيطان العديد من هؤلاء فى الديار المقدسة.

وكانت هناك عوامل عدية لهذا الاستيطان من أهمها ما يلى:

- الانقطاع للعبادة والزهد والعيش بجوار بيت الله الحرام.
- طلب العلم والتفقه فى العلوم الشرعية والمعرفة والاستفادة من حلقات العلم التى كانت تعقد فى الحرم المكى الشريف.
- التجارة والكسب فى بلد أسواقه التجارية مفتوحة للجميع.

وسيحاول هذا المقال أن يبرز الأثر الثقافى للحجاج الأفارقة بعد انتقالهم من الأراضي المقدسة بعد أن فرغوا من أداء فريضة الحج إلى مناطق جنوب شرق آسيا من خلال مجموعة من النقاط لعل أهمها مايلى:

1- انتقال الأفارقة من مكة إلى دول جنوب شرق آسيا

انتقل بعض الأفارقة الذين كانوا قد استقروا فى السابق كما ذكرنا بمكة إلى بعض دول جنوب شرق آسيا، وذلك عن طريق ملوك وسلاطين بعض دول جنوب شرق آسيا العائدين من رحلات حجهم حيث كانوا يقومون بإغراء الكثير من الإفريقيين للسفر معهم والعمل فى بلاطهم، أو كان يتم شراء البعض منهم.

كما انتقل البعض الآخر بعد أن فرغوا من أداء منسك الحج ، ولم يجدوا فرصة للعمل والرزق فى الأراضي المقدسة فانتقلوا إلى بعض دول جنوب شرق آسيا كالهند وباكستان وجزر المالديف وسريلانكا، وذلك للعمل كبحارين أو جنود أو مترجمين أو غواصين أو كعمال فى أرصفة الموانئ أو للعمل فى مجال الزراعة أو استخراج الملح والفحم .

على الجانب الآخر انتقل بعض الأفارقة المتواجدون على طول الطرق الأفريقية الساحلية الرئيسية المطلة على المحيطات كالمحيط الهندى، والهادى، والأطلنطى إلى دول جنوب شرق آسيا عن طريق الهولنديين والبرتغاليين فى القرن السادس عشر.

الجدير بالذكر أن الأفارقة قد اندمجوا فى المجتمعات الإسلامية فى دول جنوب شرق آسيا من خلال المصاهرة والزواج والعمل، وتحولت النظرة إليهم من دخلاء إلى نظراء وأصبحوا قادرين على تكوين شبكة من العلاقات.كما كانت من أهم سماتهم هو المحافظة على المورث الثقافى الأفريقى لديهم والتمسك به.

2- **التدفق الثقافي الأفريقي إلى الهند وباكستان**

مع نهاية القرن العاشر انتقل العديد من الأفارقة إلى الهند الشرقية للعمل كجنود عقب انتشار الإسلام في تلك المنطقة. ويعتبر الأفارقة الجوجاراتيين من الذين انتقلوا إلى الهند خلال تلك الفترة، ويرتدى الأفارقة الجوجاراتيين جلود حيوانات وغطاء للرأس مصنوع من ريش الطاووس أو أية طيور أخرى، ويقومون بدهن أجسامهم و يعتبرون أنفسهم من الموهوبين في الغناء حيث كانوا يقومون برقصات تقليدية روحية على موسيقى الدمال (Dhamal) وهى طبلة صغيرة الحجم، والماديدو (Madido)الطبلة كبيرة الحجم، والموجارمان(Mugarman)الطبلة ذات الأرجل والماى ميشرا(Maimishra) الخشخشية أو المجلجة المصنوعة من جوز الهند، والنفير (Nafir) البوق المصنوع من المحار، والمالونجا وهو القوس الموسيقى وأدوات موسيقية أخرى.ومن أكثر الأدوات المحفوظة حت النن هى المالونجا وهو قوس موسيقى مدعم بالمعدن، ويوجد في كثير من المجتمعات الإفريقية.وكان ما يتم تأليفه من موسيقى يتم ترجمته إلى رقص شعبى جماعى في وجود جمهور معظمه من غير الأفارقة غالباً يرقصون مع المؤدين على المسرح. أما خارج المسرح فكانت هناك مناسبات اجتماعية عديدة يتم الغناء والرقص من خلالها كالعرس وغيرها من المناسبات.

ويبدو أن الموسيقى هى الفرصة الرئيسية للحفاظ على الثقافة بين الأشخاص المنحدرين من أصول أفريقية في أندرا براديش (Andhra Pradesh) في الهند والذين كان يطلق عليهم شوش (Choush) وهو مصطلح مشتق من تسمية عثمانية عسكرية. وانتقل جزء من جماعة الشوش إلى حيدر أباد (Hyderabad) الهندية لكى يشكلوا فرقة حماية للنظام الملكى، واحتفظت الأسرة الأصافية(Asafiya) في عام 1724 بالحراس الملكيين من الأفارقة والجنود والذين كانوا يمارسون الأغانى والرقصات الإفريقية إلى جانب عملهم الاساسى.

ويذكر عالم الأنثربولوجيا آبابو ميندا (Ababu M inda) أن جماعة الشوش بحيدر أباد يتم دعوتهم إلى المناسبات الاجتماعية لكى يقوموا بعزف الموسيقى التقليدية أمام الأفارقة الهنود المسيحيين في تلك المنطقة مستخدمين الدف (Daff) وهو طبلة مستديرة ذات مقدمة واحدة مرتبطة بالثقافة الإسلامية ويستخدم الدف في الموسيقى الشعبية، والموسقى الفنية، والموسيقى الإيقاعية والطقوس الصوفية. ويستخدم الأفارقة في كارناتاكا (Karnataka)الجومات(Gmat) وهى طبلة كبيرة ويستخدمه أيضا الجوان (Goan) في الهند أثناء تأدية أغانيهم الشعبية، كما كان يوجد عدد من الافارقة العبيد في مدينة جوا(Goa) لكن يبدو بعد إلغاء العبودية والرق في الهند البرتغالية ترك العبيد المحررون جوا ورحلوا إلى جات (Ghat) وأندمجوا في مجتمع الجوا عن طريق الزواج.

كما كان يوجد عدد من الأفارقة المسلمين في كارناتاكا الشمالية وفى المناطق الحدوية ولهم بيئتهم الاجتماعية الخاصة ونمطهم الموسيقى الفريد حيث كانوا يحيون ذكرى سيدنا على عليه السلام

بقولهم (على، على ، على) ويمكن أن يؤدى هذا الاحتفال بأى عدد من الأشخاص ، لكن كان يرتدى أثنين من الحاضرين بنطلون قصير وغطاء للرأس مصنوع من الأزهار وحزام وأجراس رنانة، ويتوقف المؤدون للاحتفال ليضربوا أنفسهم بحزام جلدى قبل معاودة الاحتفال، حيث أنهم يعتقدون أن الألم الذى يسببونه لأنفسهم يرفع من وجدانهم الروحى .

ويعد مهرجان مانجوبير(Mangopir) فى مدينة كراتشى الباكستانية حدثا سنوياً يحتفل به جماعة الأفارقة الباكستانيين وهم اتباع الشيخ الصوفى بابا مانجوبير(Bab Mangopir)، وهذا المهرجان يحافظ على ارتباطهم بالأصول الإفريقية وكانت كلمات الأغانى مزيج من السواحلى والبالوشى. كما ارتبطت التقاليد الموسيقية الخاصة بالأفارقة البلوش بالأنشطة البحرية والممارسات المتبعة فى الحياة البحرية

3- التدفق الثقافى الإفريقى إلى المالديف وسريلانكا

تقع جزر المالديف فى جنوب غرب سريلانكا ودخل الإسلام هذه الجزيرة حوالى عام 1153م، ،ويذكر بطوطة خلال زيارة للجزيرة وجود الأفارقة فى جزر المالديف وانه يطلق عليهم الأحباش،حيث كانت تعتبر جزر المالديف محطة تموين للسفن العربية التى تبحر إلى الشرق الأقصى. وبعد تحول سكان تلك الجزر إلى الإسلام أصبحت تلك الروابط التجارية أقوى من خلال الروابط الدينية والروحية التى تركت انطباعها على اللغة وعلى المظاهر الثقافية الأخرى فى المالديف.

انتقل الأفارقة إلى **جرز المالديف** عبر السفن المارة بالجزر خلال القرن التاسع عشر، أو من خلال السلاطين العائدين من رحلات الحج.وبعد انتقال الأفارقة عمل معظمهم فى مجال زراعة جوز الهند وتزوجوا من السكان الأصليين فى المالديف. ولقد ذكر أثنان من الضباط البريطانيين البحريين الين زاروا المالديف أنه"من المعلومات التى استطعنا جمعها، يبدو أن السفن من مسقط (Muscat) لا تزور هذا المكان غالباً، لكن بعض السفن جاءت منذ خمس سنوات وقامت ببيع حوالى خمسة وعشرين صبى من أفريقيا وكان سعر الصبى حوالى ثمانين روبية.

ومن خلال مقابلة مع أحد المنحدرين من سلالة أحد العبيد، واسمه سانجوارو(Sangoaru) وكان قد أحضره لجزر المالديف أحد سلاطين المالديف العائدين من رحلة الحج هو وأربعة آخرون وهم سانجوارو،لالو(Laalu)،مارجان(Majan)،مسعود(Masud)،وموبز(Muizz)،أما اليوم فأن أحفاد سانجوارو مندمجين بشكل كبير فى المجتمع المالديفى وفى بنيته الاجتماعية والسياسية، ويشاركون فى اقتصاد ورخاء المالديف.

لقد كان لأفارقة الذين انتقلوا إلى جزر المالديف سواء عن طريف الحج أو غيرها أثر ثقافى على المجتمع فى جزر المالديف، حيث تؤكد الدراسات أن الأفارقة الذين انتقلوا إلى جزر المالديف نقلوا

معهم ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم وفنونهم الشعبية إلى المالديف وخاصة فى مجال الغناء الشعبى الإفريقى فهم من أحضروا أصوات الطبول الأفريقية إلى المالديف والتى انتشرت بقوة وأشهرها البودوبيرو(Bodu Beru) وهى طبلة كبيرة يعتقد أنها نشات فى شرق أفريقيا ويبلغ طول الطبلتان قدمين ونصف وتصنع من من ثمرة جوز الهند أو ثمرة نبات الخبز وتغطى بجلد الماعز من الجهتين. وتتكون الفرقة الموسيقية من ثالاثة من عازفى الطبول ومغنى رئيسى وكورال مكون من عشرة إلى خمسة عشرة رجل،ويصحب العزف أغانى من أشهرها بابورو لافا (Baburu Lava) وهى أغانى عن الحب، الدين، الشجاعة، ومدح السلطان. وتبدأ الأغانى بشكل بطيء ثم تزيد سرعتها ويبدأ أعضاء الفرقة فى الرقص، وتبدو الموسيقى قريبة من الموسيقى التى كانت موجودة فى زنجبار وعمان، وبالتقصى عن الروابط بين التقاليد الموسيقية يمكننا معرفة الطرق التى سلكها العبيد بحلول عام 1840، كانت زنجبار مركز العمليات العمانية وقد ساعدت هذه الارتباطات السياسية الوثيقة على إنشاء روابط موسيقية،وتعد موسيقى البودوبيرو شكل من أشكال الترفية، بعد أن تم جعلها جذابة تجارياً فأصبحت تستخدم كمصدر للجذب السياحى.

أما سيرلانكا فتشير الدلائل التاريخية أن الإثيوبيين كانوا يمارسون التجارة فى القرن السادس عندما كانت الجزيرة مركزاً تجارياً فى المحيط الهندى، وترجع أصول الأفارقة السيرلانكايين إلى الحقبة الاستعمارية (1505-1948م) عندما أحضر البرتغاليين والهولنديين والبريطانيين العبيد الأفارقة إلى سيرلانكا.

لقد كان للأفارقة الذين انتقلوا إلى سيرلانكا آثار اجتماعية واقتصادية وثقافية كبيرة على المجتمع السيرلانكى وخاصة فى مجال الفنون والموسيقى، ومن أشهر الأغانى المهانس(Manhas) ، والكافيرنهاس(Kaffrinhas) وتقتصر أغانى المهانس على السرد القصصى للتراث الأفريقى،بينما فهو اكثر الفنون انتشاراً،حيث تعود أصول كلمة كافيرنها إلى البرتغالية –وكافر جاءت من كلمة كافر بالعربية والتى تعنى غير المؤمن- وتوجد تسجيلات تعود للقرن 19م للكافرنهاس فى وثائق محفوظة فى المكتبة البريطانية بلندن، وتعتبر الكافرنهاس أيضا شكلاً من أشكال الرقص تبناها الأوروبيين الذين استعمروا سيرلانكا وتبناها أيضا الصفوة من السكان المحليين المختلطين بالإنجليز،وكان الأفارقة بعض يعملون موسيقيين فى فرق موسيقية منظمة أثناء فترة الاحتلال البريطانى، وكانوا يخدمون فى بلاط املوك السيرلاكايين كعازفى بوق و طبول.

بالأضافة لهذا كان للكافرنها تأثير مستمراً على البيالا (Biala) وهى أكثر أنواع الموسيقى انتشاراً فى سيرلانكا فى فترة ما بعد الاستعمار،وكلمة بيالا لها أصول برتغالية وتعنى الرقص،لكن ما يطلق عليه بيالا فى سيرلانكا الآن هو تركيبة من فترة ما بعد الاستعمار تأثرت بالأغانى البرتغالية وبالكافرنها.

الخلاصة

- يعد الحج ملتقى للتبادل الثقافى على مستوى الدول الإسلامية خاصة دول العالم عامة.
- كان للعامل الدينى ثم العامل الاقتصادى دوراً مهماً فى استقرار الأفارقة إلى جوار بيت الله الحرام
- لعب الحجاج الأفارقة الذين استقروا فى مكة دوراً فى نقل العادات والتقاليد الأفريقية إلى الديار المقدسة(مكة – المدينة المنورة).

- لعب الحج دوراً أساسيًا فى انتقال الحجاج الأفارقة بعد انتهائهم من أداء فريضة الحج إلى الانتقال إلى جنوب شرق آسيا.

- كان للدول الاستعمارية (هولندا- البرتغال-بريطانيا- فرنسا) دور مهم فى نقل الأفارقة إلى دول جنوب شرق آسيا لاستخدامهم فى الإعمال البحرية والزراعة واستخراج الملح والفخم.

- نقل لأفارقة الذين انتقلوا إلى جنوب شرق آسيا، سواء عن طرق الحج أو عن طريق الاستعمار الكثير من تراثهم الثقافى كاللغات الإفريقية والفنون من موسيقى وغناء وعادات وتقاليد أفريقية إلى مجتمعات تلك الدول.

- انصهرت معظم الجماعات الإفريقية فى مجتمعات تلك الدول من خلال المصاهرة أو الزواج او العمل والانخراط فى هذه المجتمعات .

المراجع

1- محمد محمود السريانى، رحلة الحج البرية من أقطار غرب أفريقيا ووسطها إلى مكة المكرمة، عدد201، ربيع الثانى 1421.

2- **H. St. J. B. Philby, African Contacts with Arabia Journal of the Royal African Society, Vol. 38, No. 150 (Jan., 1939).**

3- **I.M. Shair and P.P. Karan, Geography of the Islamic Pilgrimage, Geo Journal, Vol. 3, No. 6, Natural Resource Development in the Tropics (1979).**

4- **Shihan de Silva Jayasuriya, Africans in South Asia, Africa Spectrum, Vol. 43, No. 3 (2008).**